سعدي يوسف يتحدث عن الجبهة الثقافية

بدأت الفكرة للمرة الاولى في اذار ١٩٨٢ ، وجرى الحديث والتداول بيني وبين محمود درويش ، حين كنا في زيارة مشتركة لعدن.

كنا نحس بالقمع او الحصار الذي تتعرض له الثقافة العربية عموما. وربما كنا نفكر بان ما سنتعرض له سيكون اسوأ واسوأ بكثير. واتفقنا على ان نبدأ باتصالات اوسع حين نعود الى بيروت .

وفعلا طرحنا هذه الفكرة على عدد من المهتمين بمصير الثقافة الوطنية ، ولقيت الفكرة ترحيبا وتقرر ان يعقد اجتماع تمهيدي يوم الرابع من حزيران ١٩٨٢ ، الذي صادف – فيما بعد – يوم قصف الطائرات الاسرائيلية للمدينة الرياضية في بيروت ، تمهيدا للغزو الاسرائيلي للبنان.

كان مقررا ان يحضر هذا الاجتماع كل من ادونيس، محمود درويش، فواز طرابلسي، كريم مروة، هيثم سبسو، وآخرون. لكن الاجتماع اجل الى يوم الاحد (يوم بدء الغزو الاسرائيلي). ويبدو ان هذا الاجتماع كان عليه ان يتأجل عاما كاملا.

المهم اننا – بعد خروجنا من بيروت ، وبعد تعرض بيروت باعتبارها رمزا للثقافة العربية الحرة لعملية اكتساح – صار لدينا الاحساس بضرورة العمل على الخروج من المأزق اكثر الحاحا وهكذا تواترت الاتصالات بطرق مختلفة. واخذت تثمر بخطوات عملية، من اجل تجمع جديد للطاقة الثقافية العربية من اقصى المغرب الى المشرق والجنوب والخليج. لكن الصعوبة التي واجهتها كانت في تقديم اطار واسع جدا، كي يمكن توحيد المثقفين العرب، دون الزامات تقليدية، بحيث نحترم حتى المزاجية-التي يتصف بها المثقفون او بعضهم، ودرجات استعدادهم للعمل في هذه المنظمة او التطوع للاسهام في جهودها. وقد نتج عن هذه الصعوبة التوصل الى مشروع نظام داخلي لجبهة الثقافة الديمقراطية، يعترف بهذه الصعوبات، ويحاول التغلب عليها، ويقدم – في رأيي – نموذجا جديدا في طبيعة التجمعات الثقافية.

فمثلا ، في تيسير الجبهة : نعى مشروع النظام الداخلي على ان ليس للجبهة جهاز تنظيمي هرمي، وانها تعتمد على ممثليها في مختلف البلدان لتنسيق عملها، وان اجتماع ممثليها يعتبر الهيئة العليا لهذه الجبهة ، وان احد هؤلاء الممثلين الاكثر ملاءمة هو الذي يكلف بمتابعة التنسيق.

وبناء على هذا ، اتفق على ان أقوم (سعدي يوسف) بمتابعة التحضير للقاء التأسيسي، وهذا التحضير هو مؤقت حالما، وقد يحل سواي في مكاني بعد الاجتماع التأسيسي .

مثل آخر : لعضو الجبهة حق الانسحاب منها، دون ان تترتب على انسحابه اية مسؤولية معنوية ، كما ان قبول المثقف العربي في الجبهة ليس فيه – عمليا – اشتراطات. فكل مثقف عربي وافق على ميثاق الجبهة ونظامها الداخلي، "اللذين" يقران بعد الاجتماع التأسيسي الاول، هو عضو فيها.

نقطة اخرى اعتبرها هامة جدا ، وهي ان الجبهة ليست حزبا سياسيا او واجهة لحزب. انها هي جبهة مستقلة تتحمل مسؤوليتها امام ضمائر المثقفين انفسهم ، لا امام حزب معين. وهكذا نكون بنية الجبهة منفتحة ويكون الانضمام اليها طوعيا ، والالتزام بها التزام فكر وليس التزاما تنظيميا.

سعدي يوسف : عشرون مؤسسون مشروع جبهة ثقافية

وجهت الدعوة الى نحو عشرين شخصية ثقافية عربية من مختلف انحاء الوطن العربي (من المغرب الى الكويت). وحدد موعدا للقاء حيث سيعقد الاجتماع التأسيسي للجبهة في عدن.

ربما لو كنا في ظروف اخرى لكان العدد عشرة اضعاف المدعوين ولكنا نعتقد ان اللقاء التأسيسي يتمتع بطاقة رمزية عالية ، لان المدعوين اليه هم اسماء معروفة جدا في الوطن العربي، ويمثلون تمثيلا حقيقيا – في رأيي – التوجهات الجديدة لغالبية المثقفين العرب التقدميين.

والاسماء التي وجهت اليها الدعوة :

المغرب : عبد اللطيف اللعبي، محمد بنيس.

الجزائر : الطاهر وطار

تونس : الطاهر لبيب

مصر : محمود امين العالم، صلاح عيسى

السودان : صلاح احمد ابراهيم

سوريا : علي الجندي، حنا مينه

فلسطين : محمود درويش ، سحر خليفة

الاردن : هاشم ياغي، غالب هلسا

الكويت : سامي المعيني

البحرين : سيف بن علي

العراق : سعدي يوسف

اليمن الشمالي : عبد العزيز المقالح، عبدالله البردوني

اليمن الديمقراطي : ما تزال الدعوة محل التداول، باعتبارها مكان اللقاء.

وبحدر التنويه بان كلا من الصديقين حسين مروة وفواز طرابلسي ، قاما بجهد ملموس – على صعيد دفع مشروع الجبهة الى الامام – في زياراتهما السابقة لعدن وبلدان اخرى.

اما عن انتاجي وايامي الحالية ، ففي عام ١٩٨٣ صدرت لي اربعة كتب : "يوميات المنفى الاخير" ، وهو مجموعة مقالات ثم مجموعتان شعريتان هما : "موسم تاتي" ، و"الينبوع" . كما صدرت لي في بيروت ترجمة لرواية افريقية هي: "توحان الدم" ، ومؤلفها رواني كيني اسمه نغوجي واثيونغو.

وايامي مثل ايامنا جميعا، ايام صعبة. فقد لا تقوم الراحة الشخصية فيها باي دور في الشك في هذه الصعوبة. بشعر المرء في هذه الايام بانه منفي عن الفعل وحتى محاولات الانتقاض تبدو رفرفة طائر سجين ، لان القفص هائل، ونحن نخشى ان يزداد هذا القفص هولا.

في السابق، ربما قبل سنتين او ثلاث، لا ادري ما اذا كنا نوهم انفسنا باننا نفعل او فعلنا شيئا، ولو كانت نشوة الوهم ، اما الان، فالمسألة اختلفت كثيرا. فقد ازاح الوهم ، دون ان نصل نحن الى التخلص من آثار الوهم السابقة.

ماذا نفعل؟ هل نحن على علاقة فعلية بما يجري؟ وان كنا على علاقة، فما حجمها ؟ ، ما تأثيرها؟

الاسئلة كثيرة.. كثيرة جدا ، والاجابات مستعصية.

خيبة؟ ذلك ممكن. ولكن الخيبات الكبرى هي في تاريخ الشعوب حافز لانتفاضات كبرى. هل نتلمس الان البوادر ؟ هل استطعنا ان نختار نفق المراجعة الطويل؟

حتى الان لا اعتقد اننا احترنا هذا النفق ، لان المراجعة كالخيبة تفترض طرقا جديدة.

هل العدو قدري بهذا الارغام؟ لا اعتقد ذلك.

أخبار ثقافية

الثقافة الجديدة

صدر العدد التاسع والعشرون من مجلة "الثقافة الجديدة" المغربية التي يشرف عليها الشاعر محمد بنيس. ومن محتويات العدد الجديد لقاء مع الدكتور حسن حنفي، و"بعض المقترحات من اجل البديل" لاحمد جرزني. "الخطيئة : فكر الاختلاف وكتابة الجسد" لمحمد الزاهيري. "في بنية المضمون الشعري : هاجس الانفصام" لكمال ابو ديب. "حول مفهوم القبيلة في علم الاجتماع الاستعماري" لفضة المصطفى. اضافة الى اشعار وقصص، وبعض الابواب الخاصة، بالتعليقات

"الكنعانية اذا"

عن الدار العالمية للنشر ببيروت صدرت قصيدة جديدة وطويلة للشاعر عز الدين المناصرة ، بعنوان "الكنعانياذا" ، ذات فقرات تغترف كثيرا من لغة التدوينات الكنعانية القديمة – لغة كتاب "اللالي" في نفس شاعري معاصر، ويبدو المناصرة خاصا في كتابه هذا الذي قد يشكل منعطفا في كتابته الشعرية برمتها. فهو قليل العناية بالزخرف وبالالفاظ ، يؤاخي الفصيح مع الاشتقاق العامي ، رغوي كما من سهل او هضبة : "تنثر الودع مربعات ، مثلثات، مكعبات، تستحضر الاعشاب السامة ، تقدح الزناد بالحوات. ترسم سلطعون الماء. غابة تنهار. كلب هو البحر، وكلب البحر يعد زفيره. يسرق الرصيص من حرار الفخار. يترمد الرماد. والمنفى استطال كحورة عنقه عند مسافط المياه".

إضاءة

"وزح الطليعة وحدها ، في معركة حاسمة ، قبل ان تكون الطبقة كلها والجماهير الواسعة قد اتخذت اما موقف التأييد المباشر للطليعة واما ، على اقل تقدير، موقف حياد يتسم بالنية الطيبة تجاهها ، بحيث تكون غير قادرة ابدا على تأييد عدو الطليعة ، لا يكون حماقة وحسب ، بل وجريمة ايضا . ولكيما تتخذ الطبقة كلها فعلا ، وجماهير الكادحين الواسعة فعلا ، ويتخذ المضطهدون من قبل الرأسمال ، مثل هذا الموقف لا تكفي الدعاية وحدها ، ولا التحريض وحده . ينبغي لذلك ان يكون لهذه الجماهير تجربتها السياسية الخاصة . هذا هو القانون الاساسي لجميع الثورات الكبرى".

– لينين –

الجديدة

منذ فترة ليست بالقريبة ، كتب لنا صديق يدرس في الخارج متسائلا عن النشاط الثقافي في المناطق المحتلة، وقال الصديق انه لم يعد يسمع كثيرا عن احراز انجازات مهمة في هذا المجال رغم كل ما يبذله من جهد لبقائه على صلة وثيقة بالحياة الفكرية هنا. ومضى الصديق يتساءل : "هل ما زال الحسن بن زريق يرحل؟ وهل ما زالت اقدام فرقة بلالين تهز الارض على ايقاع السكة والمنجل؟ وهل ما زالت معارض الرسم لعصام وسليمان والاخوة الاخرين تدعو الناس فيقبلون متفاعلين مستجيبين؟"

ومضى الصديق يؤكد ان تلك البدايات كانت تملأ حياتنا صدقا وحيوية، ولذلك فانه يعتقد ان تلك البدايات لا بد وان تكون الان وبعد مضي هذه السنين في عنفوان صدقها وحيويتها . ويستمر الصديق في السؤال والتذكير باسماء واعمال كدنا ان ننساها جميعا.

شكرت الصديق في سرّي فهو من اولئك القلة الذين ما زالوا يذكرون ايام "البراءة" في المناطق المحتلة ، عندما كان الاديب والفنان يستدل على ابداعه بنبض قلبه وحسه الجماهيري ، وقبل ان تتحول الاعمال الادبية الى "فواتير" تدفع لكاتبها او حاملها غب الطلب.

وشكرت للصديق ايمانه بتلك البدايات ، وايمانه بانها كانت هي الطريق الذي لا بد من عبوره، لتصل الى عنفوان صدقها وحيويتها

ولكن ، ايها الصديق ، جاء حين ود فيه البعض ان لا يروا احدا يذكرهم بتلك البدايات . واصبح همّ هؤلاء البعض ان يؤرخوا للحركة الثقافية في المناطق المحتلة بطريقة تلغي كل ما سبق على طريقة : "ما قبل من قبل يمسح" . لقد كانت البدايات في حد ذاتها استجابة جماهيرية لواقع يتحرك ، والفرديون – كما تعلم ايها الصديق – يلغون عادة دور الجماهير وقدرتها على التفاعل والخلق المتجدد لذاتها ويركزون على الالوان الزاهية التي يرونها في انفسهم.

قرأت بعض التقييمات لتاريخ الحركة الثقافية في المناطق المحتلة فرأيت ان التاريخ اصبح مؤشرات ذاتية لا يعوزها التواضع والصدق الذي يتصف به المثقفون الحقيقيون. فلا عجب ايها الصديق ان تحمل مصاحف لتفتش عن الاعمال الصادقة ، ولا عجب ان يطول بك التفتيش !

ايها الصديق، لعل ايام "البراءة" كانت بدايات كما تقول، والبدايات كما تقول ايضا تحمل في طياتها امكانية القصور. ولكن لعلك تتفق معي ان "البراءة" ذاتها هي التي مكنت ذلك القصور في النهاية من ان يحمل وجه الثقافة الوطنية في المناطق المحتلة قاصرا.

– محمد البطراوي –